الإستدلال العقلي في إثبات مسائل العقيدة في القرآن الكريم إستدلال نبي الله إبراهيم عليه السلام أُنموذجاً

Mental reasoning in proving matters of belief

In the Holy Quran

The inference of the Prophet of God Ibrahim

peace be upon him as a model

د. عبد الوهاب أحمد حسن

Dr. Abdul Wahab Ahmed Hassan

كلية الإمام الأعظم رحمه الله الجامعة

Imam Al Adam University College

الملخص

الحمدلله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إنَّ من أهم خصائص المنهج القرآني هو عرض العقيدة الإسلامية ضمن أُطر متنوعة فتارة يعرضها من خلال الكون المنظور في الآفاق والأفلاك، وتارة من خلال الجدال العقلي والنظر والدليل المنطقي.

وقد زخر القرآن الكريم بنماذج من الجدال العقلي والبراهين العقلية ما يجعله مستغنياً عن كثير من التكلف، وقد جمع القرآن الكريم بين الدليلين النقلي والعقلي بأسلوب رائع ومانع في آن واحد.

- وقد حاول البحث أن يُثبت أن القرآن الكريم من خلال الجدل العقلي هو أول من أثبت العقائد الإسلامية بالأدلة العقلية وليس كما يدَّعي بعصض المعتزلة أنهم أول من أثبت العقائد بالدليل العقلي.

- ويُسلِّط هذا البحث الضوء على تنوّع الحِجَاج البرهاني لنبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام واستعناله أنواعاً من البراهين وأساليب الخطاب وهذا من مقتضيات الفطانة التي هي من مقتضيات الأنبياء عليهم السلام ليتمكنوا من إقامة الحجة وجدال أقوامهم لإثبات الحق وردِّ الشبهات. ط

- ومِمَّا أثبته البحث اشتمال القرآن الكريم على أهمية العقل في تناول أمور الشرع ،ولما كان العقل أكرم ما مَيَّز الله به بني آدم ؛ أمرهم بإعماله من خلال التدبُّر والتفكُّر في آيات الله تعالى، وقد أمر الله تعالى المؤمنين بالنظر في بديع كونه المنظور للوصول إلى حقيقة الوجود والخلق، وأنه تعالى هو الخالق المُدبِّر الموجود.

والقرآن الكريم يوصل ويرشد إلى إثبات وحدانية الخالق تعالى بطُرُق وأساليب متنوعة، فتارة من خلال النظر والتدبُّر في الخلق والموجودات. سواء في النَّفس أم في السماوات والأرض، وتارة من خلال طرح الأسئلة العقلية في أصل الخلق، ومآل البشر، وتارة عن طريق نقل حوارات الأنبياء مع أقوامهم ومنكري التوحيد من المشركين، وإبطال شركهم وما يدعون من دون الله تعالى.

* * *

Abstract:

Praise be to God, and prayers and peace be upon the Messenger of God, and his family and companions all One of the most important characteristics of the Qur'anic approach is the presentation of the Islamic faith within various frameworks, sometimes through the visible universe in horizons and spheres, and sometimes through rational argument, consideration and logical evidence. The Noble Qur'an is filled with both textual and rational proofs in a wonderful and prohibitive manner at the same time.

- The research tried to prove that the Holy Qur'an through rational argument is the first to prove Islamic beliefs with rational evidence, not as some Mu'tazilites claim that they are the first to prove beliefs with rational evidence.

This research sheds light on the diversity of the demonstrative arguments of the Prophet of God Ibrahim, peace and blessings be upon him, and his use of various types of proofs and methods of discourse.

Among what was proved by the research, the Holy Qur'an included the importance of the mind in dealing with matters of Sharia, and since the mind was the most generous of what God distinguished with the children of Adam; He commanded them to implement it through contemplation and reflection on the verses of God Almighty, and God Almighty has commanded the believers to look at the wonderful being of the perspective to reach the reality of existence and creation, and that the Almighty is the Creator, the mastermind that exists.

And the Noble Qur'an communicates and guides to proving the oneness of the Creator, the Most High, in various ways and methods, sometimes through contemplation and contemplation of existing flaws. Whether in the soul or in the heavens and the earth, and sometimes by asking rational questions about the origin of creation and the money of human beings, and sometimes through the dialogues of the prophets with their people and the polytheists denying monotheism, and the nullification of their polytheism and what they claim besides God Almighty.

* * *

المقدمة وتعريف بموضوع البحث وأهميته.

المبحث الأول: الاستدلال العقلي :أنواعه ونماذج من تطبيقاته في آيات القرآن الكريم

- المطلب الأول: تعريف الاستدلال العقلي
- المطلب الثاني: أنواعه ونماذج من تطبيقاته
- المطلب الثالث: الألفاظ ذات الصلة

المبحث الثاني: أهم الاستدلالات العقلية لنبي الله ابراهيم على إثبات مسائل العقيدة.

الخاتمة: أهم النتائج والتوصيات .

* * *

المقدمة وفيها التعريف بموضوع البحث وأهميته

الحمد لله واهب العقول والألباب، الذي أرسل الرسل وأنزل الكتاب، وخلق السماء من دخان والإنسان من تراب، والصلاة والسلام على سيدنا محمد زاكي الأنساب وأشرف الأعاجم والأعراب، وعلى آله وصحبه خير آل وأصحاب، ومن تبعهم إلى يوم الحساب.

وبعد: فقد سلك القرآن الكريم مناهج عديدة في دعوة الخلق الى توحيد الله والإيمان به، منها أنه خاطب الفطر السليمة، ومنها ما سلك مسلك الدعوة بالحسنى مع غير المعاندين، ومنها أنه سلك مسلك الحجة والإقناع، ومن أحسن من الله حديثاً وأبلغ حجة؟ قال تعالى:﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ الأنعام: ١٤٩ .

وهذه الحجج لا تدركها سوى العقول الراجحة، فالعقل من أعظم نعم الله تعالى على الخلق، ولا يمكن لإنسان مهما قل علمه أن يستغني عن عقله، في إثبات أمر أو نفيه، فالواحد منّا كثيراً ما يستخدم عقله في تدبير أمره، أو للخلاص من مكروه، أو جلب منفعة في حياته .

وقد أولت الشريعة للعقل مكانة كبيرة، ودعت إلى حفظه وإعماله،ومن صور تكريم الشرع للعقل:

١- جعله مناط التكليف ،فمن ذهب عقله لم يعد مخاطباً بأحكام الشرع .

٢- حرم الشارع الحكيم أذية العقل والاعتداء عليه ،بإتلافه من الغير، أو بتغييبه بتناول ما يعطله، فأوجب الشرع الحدّ على كل أؤلئك، وتفصيل ذلك في كتب الفقه .

٣- أمر الله تعالى في كتابه العزيز بإعمال العقل وعدم إهماله ،وتقديم الأدلة العقلية على وحدانيته سبحانه، وربوبيته، من خلال آيات الله تعالى في الكون وفي النفس.

ولما كان العقل أكرم ما ميز الله تعالى به بني آدم ؛ أمرهم بإعماله من خلال التدبر والتفكر في آيات الله تعالى، وقد أمر الله تعالى المؤمنين بالنظر في بديع كونه المنظور، للوصول إلى حقيقة الوجود والخلق، وأنه تعالى هو الخالق المدبر الموجد .

والقرآن الكريم يوصل ويرشد إلى إثبات وحدانية الخالق تعالى بطرق وأساليب متنوعة، فتارة من خلال النظر والتدبر في الخلق والموجودات سواء في النفس أم في السموات والأرض، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ ﴾ [النازعات: ٢٦ ٣٣].

وتارة من خلال طرح الأسئلة العقلية في أصل الخلق، ومآل البشر، كما في قوله تعالى ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى

ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ الغاشية: ٢٠١٧، وقوله تعالى: ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾ الروم: ٢٠١٩ .

وتارة يثبت القرآن الكريم وحدانية الله تعالى عن طريق نقل حوارات الأنبياء مع أقوامهم ومنكري التوحيد من المشركين، وإبطال شركهم وما يدعون من دون الله، كقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴾ نوح: ٢٠١٥ .

ولما كان الأنبياء من أكمل الخلق عقلاً وأنضجهم فكراً وأسرعهم بديهة، لما أودعه الله تعالى فيهم من صفة الفطانة التي امتازوا بها، فلم يدخروا وسعهم في إعمال عقولهم في خدمة دعوتهم، واختيار أساليبها ومجادلة أعداءها بقوة الحجة ووضوح البرهان وإقامة الدليل .

والذي يدقق النظر في جدال الأنبياء مع أقوامهم يجد أنهم -عليهم السلام- استعملوا أسلوب الحجج العقلية وأسلوب الجدل الذي أصّل فيما بعد، فقد استخدموا البراهين العقلية في إبطال عقائد المشركين والملحدين، ومن ثم إثبات الوحدانية لله تعالى وأنه سبحانه الخالق والمحيي والمميت والمعيد.

إن عموم المتكلمين في حجية العقل ومكانته يعدون المعتزلة فرسان العقل؛ فهم أول من أثبت مسائل الاعتقاد بالأدلة العقلية .

ومما لا شك فيه أن للمعتزلة دوراً كبيراً في إثراء الثقافة الإسلامية، فبعقول وجهود رجال ساهموا في إعمال العقل وإبراز دوره ووقفوا في مرحلة حرجة بوجه بعض الفلاسفة والزنادقة، وهذا انطلاقا من أصولهم الخمسة التي منها: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..

ثمّ بالغوا في شأن العقل حتى جعلوه حكماً على الشرع، وقد يكون لتحكيمهم العقل أثر في نيلهم هذه الشهرة في تسميتهم فرسان العقل.

لكنني بعد البحث والتقصي والتدبر لكتاب الله تعالى وجدت أن القرآن الكريم قد اهتم بإثبات مسائل الربوبية والألوهية بالحجة العقلية عموماً، وكذلك من خلال استخدام الأنبياء عليهم السلام للحجة والبراهين العقلية في مناظراتهم لأقوامهم ومشركي عصرهم.

ومن أهم ما أردت إثباته في هذا البحث المتواضع أموراً، أهمها :

أ- أننا كثيراً ما نقسّم الأدلة إلى قسمين: أدلة عقلية، وأدلة نقلية، والذي تبين لي: أن القرآن الكريم يشتمل على منهج الاستدلال العقلي والنقلي في آن واحد، فمثلاً هو لا يصرح بوحدانية الله تعالى فحسب، بل يصرح بها مع ايراد الدليل العقلي وإثبات هذه الحقيقة في مواضع كثيرة ورد ذكرها في كتاب الله تعالى.

ففي القرآن الدليل العقلي والنقلي، حيث لم يغفل الكتاب الكريم دور العقل في نصرة الدين وإثبات الإيمان، وتقرير مسائل الاعتقاد بأدلة عقلية.

فأقول إن القرآن الكريم سبق المعتزلة وغيرهم في إعمال العقل والحجة العقلية لإثبات قضايا الإيمان الكبرى مثل توحيد الربوبية والألوهية.

قال الطيبي : «معرفة الله تعالى و وحدانيته معلومتان بالعقل، وقد ترد الأدلة العقلية في مضمون السمعية».[1]

ب- بالإضافة إلى ذلك فقد استخدم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام- أسلوب الحجج العقلية، وقد اخترت أبا الأنبياء سيدنا إبراهيم أنموذجاً على إثبات مسائل العقيدة بالحجج العقلية والبراهين الدامغة.

فهم كذلك أسبق -كأشخاص- من رجال الاعتزال وغيرهم بإيراد الحجج العقلية، في مناظراتهم مع أقوامهم ومع المنكرين.

من هنا لا نسلّم لمقولة : أن المعتزلة أول من أثبوا مسائل العقيدة بالأدلة العقلية والبراهين والحجج، وخطة هذا البحث تتكون مما يأتي:

- المبحث الأول ويتألف من مطلبين:
- المطلب الأول: تعريف الاستدلال العقلي، ومفردات العنوان.
- المطلب الثاني: الألفاظ ذات الصلة.

المبحث الثاني: . أنواع الاستدلال العقلي ونماذج من تطبيقاته في كتاب الله .

- المبحث الثالث: نماذج من الاستدلالات العقلية لنبي الله ابراهيم عليه السلام على إثبات مسائل العقيدة.

الخاتمة: أهم النتائج والتوصيات .

وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل له خالصاً، ولي ولعباده نافعاً، وأن يرزقنا شرف خدمة دينه، والذبِّ عن حماه، إنه نعم المولى ونعم المجيب، وصلى الله تعالى وسلم على نبينا وسيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

(١)تفسير البحر المديد للإمام أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس، ط٢/ / دار الكتب العلمية بيروت، ٢٠٠٢ م ١٤٢٣ هـ، ٤٨٤/٦.

▪المطلب الأول: تعريف الاستدلال العقلي ومفردات العنوان.

هذا العنوان مركب من كلمتين، هما الاستدلال، والعقلي، والاستدلال مشتق من الدليل وأصله الفعل الثلاثي: دلَّ يقول ابن فارس: «الدال واللام أصلان: أحدهما إبانة الشيء بأمارةٍ تتعلمها، والآخَر اضطرابٌ في الشيء.

فالأوَّل قولهم: دلَلْتُ فلاناً على الطريق. والدليل: الأمارة في الشيء. وهو بيِّن الدَّلالة والدِّلالة.

والأصل الآخَر قولهم: «تدَلدَل الشّيءُ، إذا اضطرَبَ».[1].

ويقول صاحب مختار الصحاح: «الدلِيلُ ما يستدل به والدليل الدال وقد دَلَهُ على الطريق يدله بالضم دلاَلةً بفتح الدال وكسرها و دُلُولةً بالضم والفتح أعلى، ويقال أدلَّ فأمل، والاسم الدَّالَّةُ بتشديد اللام وفلان يُدِّلُ بفلان أي: يثق به»[2].

فمجموع الأقوال يمكن أن يتلخص بثلاثة معانيوهي: الإبانة، والتأرجح من أعلى، والثقة.

والدليل اصطلاحاً:

يقول الجرجاني: «الدليل في اللغة هو المرشد وما به الإرشاد وفي الاصطلاح هو الذي يلزم من العلم به العلم بشيء آخر» [3].

تعريف العقل لغة:

بعد التتبع لمادة «عقل» في معاجم اللغة، نجد أنها تدل على عدة معانٍ أهمها: المنع ،قال ابن فارس: «العين والقاف واللام، أصل واحد منقاس مطَّرد، يدل عُظمُه على حُبسة في الشيء أو مايقارب الحُبسة، من ذلك العقل، وهو الحابس عن ذميم القول والفعل..»[4].

وقال الأزهري: «سمِّي عقلُ الإنسان وهو تمييزه الذي به فارق جميعَ الحيوان عقلاً لأنّه يعقله، أي يمنعه من التورُّط في الهَلَكة»[5].

---

(١) معجم مقاييس اللغة، تأليف أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، طبع: دار الفكر، ط١/: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. ٢/٢٥٩-٢٦٠ .

(٢) مختار الصحاح تأليف الإمام محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، تحقيق : محمود خاطر،ط١/ مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، ١٤١٥ -، ١٩٩٥، ص:٢١٨.

(٣) التعريفات لعلي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق : إبراهيم الأبياري، ط١/: دار الكتاب العربي - بيروت، ١٤٠٥هـ ص: ٨٦، تسلسل:٦٩٢.

(٤) معجم مقاييس اللفة ،لابن فارس:٢/١٣٨ .

(٥) تهذيب اللغة، تأليف: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، دار إحياء التراث العربي - بيروت - ٢٠٠١م، ١/١٦٠ .

ومن معاني العقل الفهم، قال الفيروز آبادي:

«والشيء فهمه فهو عقول..»[١]

وهناك ألفاظ أخرى تطلق ويراد بها العقل، قال ابن منظور:

العَقْلُ الحِجْر والنُّهى ضِدُّ الحُمْق والعَقْلُ القَلْبُ والقَلْبُ العَقْلُ[٢]

واصطلاحاً فقد عرفه القاضي زكريا الأنصاري بأنه: «غريزة يهيأ بها لدرك العلوم النظرية ويقال أنه نور يقذف في القلب»[٣][٥]

وعرفه الجرجاني بعدة تعاريف اختار منها الصحيح فقال: «والصحيح أنه جوهر مجرد يدرك الفانيات بالوسائط ،والمحسوسات بالمشاهدة.» [٤].

تعريف الإثبات لغة:

قال ابن فارس: الثاء والباء والتاء كلمةٌ واحدة، وهي دَوامُ الشيء. يقال: ثَبَتَ ثباتاً وثُبُوتاً. ورجل ثَبْتٌ وثبيت. [٥][٥]. فهو لفظ يدل على ثبوت الشي على وجه الدوام، ولا تغير فيه.

واصطلاحاً: قال الجرجاني: «الإثبات هو الحكم بثبوت شيء آخر .»[٦]

وقال العلامة المناوي: «الإثبات ضد الإزالة ثم تارة يقال بالفعل فيقال لما يخرج من العدم نحو أثبت الله كذا وتارة لما ثبت بالحكم فيقال أثبت الحاكم»[٧] والمقصود هنا هو الشيء الثابت بالحكم والدليل.

تعريف العقيدة لغة:

قال ابن فارس: «العين والقاف والدال أصلٌ واحدٌ يدلُّ على شَدٍّ وشِدّةِ وُثوق، وإليه ترجعُ فروعُ البابِ كلها.. وعَقَد قلبَه على كذا فلا يَنزِع عنه. واعتَقَد الشيءُ: صَلُب. واعتَقَد الإخاءُ: ثَبَتَ».[٨]

---

(١) القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، المطبعة الأميرية ببولاق- مصر، ط١/١٣٠١،٣هـ:١٣٣٦/١.

(٢) لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين ابن منظور، قدم له عبدالله العلايلي، ط٢/، ١٩٨٨م/١٤٠٧هـ، دار الجيل، بيروت لبنان: ٤٥٨/١١.

(٣) الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، تأليف: زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري أبو يحيى، تحقيق : د. مازن المبارك، ط١/: دار الفكر المعاصر - بيروت، ١٤١١هـ، ص:٦٧.

(٤) التعريفات للجرجاني:١٩٧/١.

(٥) معجم مقاييس اللغة لابن فارس: ٣٩٩/١.

(٦) التعريفات للجرجاني: ص:٢٣، باب الألف، رقم التعريف:١٩.

(٧) التوقيف على مهمات التعاريف تأليف: محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق : د. محمد رضوان الداية، الناشر : دار الفكر المعاصر , دار الفكر - بيروت , دمشق، ط١/، ١٤١٠هـ،ص:٣٣.

(٨) معجم مقاييس اللغة لابن فارس: ٨٦/٤- ٨٧ .

ولا يبتعد المعنى الاصطلاحي عن اللغوي كثيراً، فهو يدور حول الثبات على الشيء والوثوق به والصلابة فيه.

قال المناوي «الاعتقاد عقد القلب على الشيء وإثباته في نفسه.»[١]

▪ المطلب الثاني: الألفاظ ذات الصلة :

لقد وردت بعض الألفاظ في كتاب الله تعالى في معرض الاستدلال في إثبات العقائد بمعنى الدليل ومنها : الحجة والجدل والبرهان، وسأعرف بكل واحد تعريفاً موجزاً.

تعريف الحجة لغة واصطلاحاً:

الحجة لغة: قال الجوهري: «والحجة: البرهان. تقول حاجه فحجه أي غلبه بالحجة. وفى المثل: «لج فحج». وهو رجل محجاج، أي جدل. والتحاج: التخاصم. وحججته حجا. «[٢]

واصطلاحاً: قال الجرجاني: «الحجة ما دل به على صحة الدعوى وقيل الحجة والدليل واحد»[٣] ومنه قوله تعالى: ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ آل عمران: ٦٦.

تعريف الجدل لغة واصطلاحاً:

الجدل لغة: قال ابن فارس:

«الجيم والدال واللام أصلٌ واحدٌ، وهو من باب استحكام الشيء في استرسالٍ يكون فيه، وامتدادِ الخصومة ومراجعةِ الكلام. وهو القياس الذي ذكرناه».[٤]

وفي تاج العروس:

«والجَدَلُ، مُحرَّكةً : اللَّدَدُ في الخُصُومةِ والقُدْرةُ عليها ومنه أُخِذ الجَدَلُ المَنْطِقيُّ : الذي هو القِياسُ المؤلَّفُ مِن المَشهُورات أو المُسلَّمات، والغَرَضُ منه إلزامُ الخَصْمِ وإفهامُ مَن هو قاصِرٌ عن إدْراك مُقَدِّمات البُرهان».[٥]

---

(١) التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي،ص:٧٥ .

(٢) الصحاح؛ تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف: إسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٣هـ)، ط/٤: دار العلم للملايين-بيروت.١٩٩٠م، ٣٢٧/٢.

(٣) التعريفات للجرجاني، ص: ١١٢، رقم التعريف: ٥٣٥.

(٤) معجم مقاييس اللغة لابن فارس: ٤٣٣/١.

(٥) تاج العروس من جواهر القاموس، تأليف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض، الملقّب بمرتضى،

ومنه قوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ النحل: ١٢٥.

واصطلاحاً: هو القياس المؤلف من المشهورات والمسلمات والغرض منه إلزام الخصم وإقحام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان ودفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة أو يقصد به تصحيح كلامه وهو الخصومة في الحقيقة[١]

وعرّفه القاضي زكريا الأنصاري مختصراً بقوله: «الجدل دفع العبد خصمه عن إفساد قوله بحجة قاصدا به تصحيح كلامه».[٢]

تعريف البرهان لغة واصطلاحاً:

ففي تهذيب اللغة البُرْهان هو: «الحجّة، وإيضَاحُها»[٣]

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ المؤمنون: ١١٧.

والبرهان هو الحجة الفاصلة البينة، يقال : برهن يبرهن برهنة، إذا جاء بحجة قاطعة يتردد الخصم بها فهو مبرهن.[٤]

تعريف المحاورة لغة واصطلاحاً.

المحاورة لغة: وهي من الألفاظ ذات الصلة بالمحاجة والجدل، وتعني: «مراجعة الكلام في المخاطبة، تقول: حاورته في المنطق وأحرت له جواباً وما أحار بكلمة».[٥]

قال الراغب الأصفهاني: «المرادة في الكلام»[٦] فهي من المجاوبة والمراجعة، والحور الرجوع، والمحاورة مراجعة الكلام بين طرفين، ومنه الحوار، والتحاور، وقد وردت في كتاب الله تعالى في قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا ﴿٣٧﴾ ﴾ الكهف: ٣٧.

الزَّبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، طبع دار الهداية للنشر، ١٩٤/٢٨ باب جدل.

(١) التعريفات للجرجاني: ص:١٠١، رقم التعريف: ٤٨٢.

(٢) الحدود الأنيقة لزكريا الأنصاري ص:٧٣.

(٣) تهذيب اللغة للأزهري: ١٥٧/٦

(٤) ينظر : لسان العرب : ٢٠٥/١، (مادة برهن) .

(٥) تهذيب اللغة للأزهري: ٧٢٧/٥.

(٦) المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم بن محمد بن الفضل الأصفهاني (ت٤٢٥هـ) أعده، د.محمد أحمد خلف الله، المطبعة الفنية الحديثة، مصر، ١٩٧٠م، ص: ١٥٥.

المحاورة اصطلاحاً: في الحقيقة لم أجد في كتب السابقين من بين حدَّ المحاورة بدقة، لذا رأيت أن انقل أجمع وأدق تعريف للشيخ النحلاوي فقد عرفها بقوله: «أن يتناول الحديث طرفان فأكثر عن طريق السؤال والجواب بشرط وحدة الموضوع أو الهدف، فيتبادلان النقاش حول أمر معين وقد يصلان إلى نتيجة، وقد لا يقنع أحدهما الآخر ولكن السامع يأخذ العبرة ويكوّن لنفسه موقفاً».(١)

قال العلامة ابن الحنبلي: «إعلم أن الله سبحانه ذكر لفظة الجدل وما تصرف منها في كتابه العزيز في تسعة وعشرين موضعاً، ولفظة الحجة وما تصرف منها في سبعة وعشرين موضعاً، ولفظة السلطان أيضاً في ثلاثة وثلاثين موضعاً، الجميع يراد به الحجة سوى موضع واحد في الحاقة : (هلك عني سلطانيه) وقيل المراد به الحجة».(٢)

وبعد فهذه أهم الألفاظ قريبة الصلة بموضوع البحث، والتي ورد أكثرها في القرآن الكريم.

▪ المطلب الثالث: أنواع الاستدلال العقلي ونماذج من تطبيقاته في كتاب الله.

بعد بيان ايراد ألفاظ الاستدلال والحجج في كتاب الله تعالى، وقبل التطبيق بنموذج سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام، لابد من ذكر بعض أنواع الاستدلال العقلي وتطبيقه في كتاب الله، ومن أبرز أنواع الاستدلال في القرآن الكريم ما يأتي:

أولاً: الاستدلال بالقياس.

والقياس: هو إعطاء حكم شيء لشيء آخر لاشتراكهما في العلة.(٣)

وقال الإمام الجويني: «وحدّه في عرف العلماء على تقريب اللغة: هو تقدير مالم يعلم بما عَلم.»(٤).

وفي القرآن الكريم من الإثبات العقلي بطريق القياس ما لا يمكن حصره، ومنه على سبيل المثال: قياس الإعادة على الابتداء كقوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا

(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، للشيخ عبدالرحمن النحلاوي، ط/٢، دار الفكر - سوريا، ٢٠٠٥م، ص: ١٨٥.

(٢) كتاب: استخراج الجدال من القرآن الكريم، تصنيف الإمام ناصح الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن نجم بن عبدالوهاب الأنصاري المعروف بابن الحنبلي (٦٣٤هـ) ضبط نصه وخرج أحاديثه وعلق عليه : محمد صبحي حسن حلاق، ط/١، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م، مؤسسة الريان - بيروت - لبنان،ص: ١٩- ٢٤.

(٣) ينظر : الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (ت ٦٣١هـ) تعليق عبد الرزاق عفيفي، ط/٢، المكتب الإسلامي، بيروت (١٤٠٢هـ) ١٦٧/٣.

(٤) الكافية في الجدل لإمام الحرمين الجويني، تقديم وتحقيق وتعليق: د. فوقية حسين محمود، مطبعة عيسى البابي الحلبي سنة: ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ص:٥٩.

الإستدلال العقلي في إثبات مسائل العقيدة في القرآن الكريم إستدلال نبي الله إبراهيم عليه السلام أُنموذجاً

ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ يس: ٧٨ - ٧٩ .

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ الأعراف: ٢٩ .

وقياس خلق عيسى عليه السلام من غير أبٍ على خلق آدم عليه السلام من غير أب ولا أم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ آل عمران: ٥٩، وفي الآية قياس الأمر الغريب على ما هو أغرب منه.

ثانياً: الاستدلال بالنقض.

قال المنّاوي: «النقض حل أجزاء الشيء بعضها عن بعض.

واصطلاحا: بيان يخلف الحكم المدعى ثبوته أو نفيه عن دليل المعلل الدال عليه في بعض من الصور».[1]

وقال السيوطي: «النَّقضُ: تخلف الحكم عن الدليل».[2]

وقد ذكر ابن الحنبلي بعضاً من صور الاستدلال بالنقض في القرآن الكريم فقال: «سؤال النقض في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ آل عمران: ١٨٣، معناه: العلة التي توجب عندكم الإيمان بالرسل قد وُجِدت فلِمَ قتلتموهم؟ فدل على أن التعليل بما ذكرتم غير صحيح، وهذ النقض وارد على معنى كلامهم، فدل على جواز إيراد ما يهدم كلام الخصم على أي وجه كان».[3]

إن علّة عدم إيمانهم بسيدنا محمد ﷺ هي: عدم إتيانه بقربان تأكله النار، فأجابهم المولى تبارك وتعالى: أن هذه العلة وهي الإتيان بقربان تأكله النار قد جاء بها أنبياء من قبل محمد ﷺ ومع هذا قتلتموهم، فاعتذارهم بهذه الحجة غير صحيح، وفي جواب المولى سبحانه لهم إبطال لحجتهم ونقض لها.

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۙ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ الأنعام: ٩١.

---

(١) التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي: ص:٧٠٩، فصل القاف.

(٢) معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، للإمام أبي الفضل عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ط١/: مكتبة الآداب - القاهرة / مصر - ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م، تحقيق: أ.د محمد إبراهيم عبادة، ص:٧٨.

(٣) استخراج الجدل من كتاب الله لابن الحنبلي، ص: ٦٩- ٧٠.

يقول العلامة الشنقيطي: «ففي رد الله على اليهود في قولهم {مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيۡءٖۗ} توصلاً منهم إلى انكار نبوة سيدنا محمد ﷺ فكأنهم يقولون: (هو بشر، ولا شيء من البشر أنزل عليه الكتاب) وصغرى المقدمتين حق، وكبراهما باطلة، وهم يزعمون صدقها، فينتج لهم (هو ﷺ ما أنزل عليه الكتاب) فرد الله ﷻ عليهم بقوله ﷻ: {قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ}

ونظمه من الشكل الثالث: (موسى -عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - بشر، وموسى أنزل عليه الكتاب) وكلتا المقدمتين حق، وهم يسلمون ذلك، ينتج: (بعض البشر أنزل عليهم الكتاب) ..فبطل بذلك إنكارهم لنبوة سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه».[1]

ثالثاً: الاستدلال بالترجيح.

ومعنى الترجيح هو: «إثبات مزية لأحد الدليلين على الآخر».[2]

وعرفه الجرجاني فقال: «إثبات مرتبة في أحد الدليلين على الآخر».[3]

ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿ قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهۡدِي لِلۡحَقِّۗ أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴾ يونس: ٣٥ .

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ الرعد: ١٩ .

فاستدل سبحانه في الآية الأولى على أن الإله الذي يهدي إلى الحق أولى وأحق أن يطاع، لرجحانه على من لا يهدي إلى الحق.

وفي الآية الثانية يقرر القرآن الكريم أن الذي يمعن النظر والتفكر في كتاب الله تعالى هو أرجح أن يوصف بالعلم والبصيرة، والآخر أولى بالعمى .

وفي قوله تعالى :﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴾ يوسف: ٣٩، يقول العلامة ابن الحنبلي مبيناً وجه الترجيح :» وذلك لما تقرر أن الاثنين لا بدّ من وجود الفساد منهما لوقوع الاختلاف بينهما».[4]

---

(١) كتاب آداب البحث والمناظرة، تأليف العلامة محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (ت:١٣٩٣هـ) تحقيق سعود بن عبدالعزيز العريفي، إشراف بكر بن عبدالله أبو زيد، من مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي، دار عالم الفوائد، للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط/١، ١٤٢٦هـ، ٢٧٩/٢.

(٢) الحدود الأنيقة، للقاضي زكريا الأنصاري ص: ٨٣ .

(٣) التعريفات للجرجاني ص:٧٨، رقم التعريف: ٣٥٢.

(٤) استخراج الجدل من كتاب الله لابن الحنبلي، ص:٧٤.

فاستدل يوسف عليه السلام بأحقية عبادة الله تعالى، لترجح وحدانيته تعالى، على الشركاء، وهذه المزية التي توجب وترجح إفراده تعالى بالعبادة والربوبية.

رابعاً: دليل المعارضة أو الاعتراض.

المعارضة لغة: من العَرض ما يقابل الطول، قال ابن فارس: «تقول: عارضْتُ فلاناً في السَّير، إذا سرتَ حِيالَه. وعارَضْتُه مِثْلَ ما صَنَعَ، إذا أتيت إليه مثلَ ما أتى إليك. ومنه اشتُقَّت المعارَضة. وهذا هو القياس، كَأَنَّ عَرْض الشَّيء الذي يفعلُه مثلُ عَرْض الشيء الذي أتاه».[1]

واصطلاحاً: لا يبتعد المعنى في الاصطلاح عن اللغة كثيرا، فهو بمعنى المساواة، قال الإمام الجويني: وحدّ الاعتراض: مقابلة الخصم في كلامه بما يمنعه من تحصيل مقصوده بما باينه.

وقيل: ممانعة الخصم بمساواته فيما يورده.

وهو في اللغة : «من المنع.»[2] ثم قال رحمه الله : «وأيضاً فإن الله تعالى قد أنزل في كتابه ما دل على صحة المعارضة في غير موضع: مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ البقرة: ٢٣، فدعاهم إلى المعارضة في نحو من هذه الآية : دلّ على أنها صحيحة في إفساد ما يدعى دلالته».[3]

ووجه الدلالة في الآية أن الله تعالى يجيب المشككين في نسبة القرآن الكريم إلى الحق سبحانه، بأنكم إذا حكمتم بأن هذا القرآن ليس من عند الله، فأتوا بسورة مثله من غير الله تعالى -على قولكم - وفي ذلك إبطال لزعمهم وتعجيز لهم، ومطالبة بصحة دعواهم.

* * *

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس: ٢٧٢/٤، باب عرض.

(٢) الكافية في الجدل للإمام الجويني، ص:٦٧.

(٣) المصدر نفسه، ص:٤٢٠.

المبحث الثاني

أهم الاستدلالات العقلية لنبي الله ابراهيم عليه السلام

بعد هذه الجولة الماتعة في طرائق الاستدلال وأنواعه، أعود إلى إمام الحجة والأدلة العقلية سيدنا ابراهيم عليه السلام الذي دعا الى الله تعالى أصنافا مختلفة من المدعويين والمكذبين والمجادلين، فمنهم من كان يعبد الكواكب، ومنهم من يعبد الأصنام ومنهم من كان يعبد الأشخاص، وقد حاور كل أولئك وناظرهم وجادلهم بما يفهمون من حججهم، وأبطل عقائدهم بالأدلة الدامغة.

▪ المطلب الأول: حجاج النبي إبراهيم عليه السلام في سورة البقرة:

من أشهر الآيات التي أوردت حجاج نبي الله ابراهيم في سورة البقرة قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ البقرة: ٢٥٨.

قال الواحدي في تفسيره: «فسمى ترك القتل إحياءً، وعارضه في الحجة بالعبارة دون فعل حياة أو موت على سبيل الاختراع... فاحتج إبراهيم بحجة مسكتة، لا يمكنه أن يقول: أنا أفعل ذلك».[1]

ويسمى هذا الدليل: دليل الإنتقال، وهو: «أن ينتقل المستدل إلى استدلال غير الذي كان آخذا فيه، لكون الخصم لم يفهم وجه الدلالة من الأول».[2]

---

(١) الوسيط في تفسير القرآن المجيد، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط/ ١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م، ٣٧١/١.

(٢) الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م ١٧٤/٢.

وقد نص على هذا الدليل جمهور المفسرين[١]، قال الزمخشري: «ولكن إبراهيم لما سمع جوابه الأحمق لم يحاجه فيه، ولكن انتقل إلى ما لا يقدر فيه على نحو ذلك الجواب ليبهته أول شيء. وهذا دليل على جواز الانتقال للمجادل من حجة إلى حجة».[٢]

وقد اعترض بعض المفسرين على دليل الانتقال، فزعموا أنه عدم ثبوت الحجة الأولى، فصار الانتقال الى غيرها، وهنا ردّ السمرقندي ذلك بقوله: «فإن قيل: لِمَ لَمْ يثبت إبراهيم على الحجة الأولى؟ وانتقل إلى حجة أخرى والانتقال في المناظرة من حجة إلى حجة غير محمود. قيل له: الانتقال على ضربين: انتقال محمود إذا كان بعد الإلزام، وانتقال مذموم إذا كان قبل الإلزام. وإبراهيم- عليه السلام- انتقل بعد الإلزام، لأنه قد تبين له فساد قوله، حيث قال له: إنك قد أحييت الحي ولم تحيي الميت»[٣].

وقد كانت هذه المحاجّة بعد أن ألقي سيدنا إبراهيم عليه السلام في النار وخرج منها.

ومن خلال هذا العرض لدليل الإنتقال الذي أشار إليه اهل العلم نلحظ في شخصية نبي الله إبراهيم عليه السلام حدّة الذهن، وسرعة الجواب، وحضور البديهة، وقوة الحجة، كان ذلك واضحاً في شخصية سيدنا إبراهيم، ومن المعلوم أن الفطانة من أهم صفات الأنبياء؛ فهم الذين يقيمون الأدلة الجلية على توحيد الله تعالى، ويردّون الشبهات التي يبثها المبطلون والمشككون.

فال السنوسي: «الفطانة هي حدة العقل، ولا يجوز أن يكون الرسول مغفلاً او بليداً أو أبلهاً؛ لأنهم قد أرسلوا لإقامة الحجة وإبطال شبه المجادلين، ولا يكون ذلك من مغفل ولا أبله ولا بليد..».[٤]

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط/ ٣- ١٤٢٠ هـ، ٢٣/٧، و الجامع لأحكام القران، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط/٢، دار الكتب المصرية - القاهرة، ١٩٦٤م، ٢٨٦/٣، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، لأبي الثناء شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط/ ١، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ، ١٨/٢.

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، ط/٣ - ١٤٠٧ هـ، ٣٠٦/١.

(٣) تفسير بحر العلوم، لأبي الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، المتوفى (٣٧٣هـ)، تحقيق: د. محمود مطرجي، ط/ دار الفكر -بيروت، ١٧١/١.

(٤) شرح السنوسية المسماة أم البراهين للعلامة أحمد بن عيسى الأنصاري، تهذيب الدكتور سعيد فودة، ط/٢، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، دار الرازي، عمان، الأردن، ص:١١١.

فعلمنا أن سيدنا ابراهيم كان قاصداً أبطال حجة النمرود وإثبات وحدانية الله تعالى بإظهار دليل الخلق والقدرة، فاستحق أن يكون أمام الحجة والعقل والبرهان.

▪ المطلب الثاني: حجاج نبي الله إبراهيم في سورة الأنعام.

سبق وعرّجنا على شخصية نبي الله إبراهيم عليه السلام، وأسلوبه في جداله مع قومه، وتنوع حجته، ومع تغير نوع المخاطبين نجده عليه السلام يغير أسلوبه من الإنكار الصريح لآلهة قومه إلى التدرج في التشكيك بها، حتى الوصول إلى التوحيد الخالص.

قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٧٩ ﴾ (الأنعام: ٧٥ - ٧٩)

وقد ابتدأ الله تعالى ذكر هذا الحدث والقصة العظيمة بقضية مهمة وهي أثبات اليقين لإبراهيم عليه السلام، قبل نقل كلامه لقومه في محاججتهم، وحتى لا يتبادر الى الذهن بأن نبي الله ابراهيم كان متحيراً فعلاً، أو أنه كان يعبد الكواكب قبلاً، يقول الإمام الرازي:» أَنَّ هَذِهِ الْوَاقِعَةَ إِنَّمَا وَقَعَتْ بَعْدَ أن أراه الله ملكوت السموات وَالْأَرْضِ حَتَّى رَأَى مَنْ فَوْقَ الْعَرْشِ وَالْكُرْسِيِّ وَمَا تَحْتَهُمَا إِلَى مَا تَحْتَ الثَّرَى، وَمَنْ كَانَ مَنْصِبُهُ فِي الدِّينِ كَذَلِكَ، وَعِلْمُهُ بالله كَذَلِكَ، كَيْفَ يَلِيقُ بِهِ أَنْ يَعْتَقِدَ إِلَهِيَّةَ الْكَوَاكِبِ؟! .» [1]

وقد ذهب جماهير المفسرين الى أن نبي الله إبراهيم عليه السلام كان مجادلا مناظراً، ولم يكن حائراً ناظرا يبحث عن الحقيقة، وأن قوله : «هذا ربي» من باب التَنَزُلِ والجدل، لا موقنا بها أو معتقداً ذلك.[2]

بينما نجد بعض المفسرين يرى أن نبي الله إبراهيم كان باحثاً عن الحقيقة، ومن أبرز القائلين بذلك هو: الإمام ابو جعفر الطبري، حيث قال: وفي خبر الله تعالى عن قيل إبراهيم حين أفل القمر: «لئن لم يهدني ربّي لأكونن من القوم الضالين»، الدليلُ على خطأ هذه الأقوال التي قالها هؤلاء القوم، وأنّ الصوابَ من القول في

(١) تفسير الرازي: ٣٩/١٣.

(٢) ينظر التفسير الوسيط للواحدي: ٢٨٩/٢، و تفسير البغوي:١٣٩/٢، وإيجاز البيان عن معاني القرآن، و لمحمود بن أبى الحسن بن الحسين النيسابوري أبو القاسم، نجم الدين (المتوفى: نحو ٥٥٠هـ)، تحقيق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، ط١/: دار الغرب الإسلامي - بيروت- ١٤١٥ هـ، ٣٨/١، وأحكام القرآن للقرطبي:٢٦/٧، و تفسير البيضاوي:١٦٩/٢.

ذلك، الإقرارُ بخبر الله تعالى الذي أخبر به عنه، والإعراض عما عداه.» [١].

ومن الأوجه التي يحملها قول سيدنا إبراهيم عليه السلام، ما ذكره الإمام الباقلاني حين يقول: «وقيل أيضا: إنه خرجَ على مذهب التقرير والاستفهام وأن ألف الاستفهام أسقِط على مذهب الإيجاز والاختصار، فكأنَّه قال على طريقِ التعجب والتوبيخ لقومه: أهذا ربي، فحُذف ألف الاستفهام».[٢]، وهذا الذي تطمئن أليه النفس ويوقن به القلب، وهو الأجدر بأنبياء الله تعالى عليهم السلام.

وإذا تقرر أن المراد بقول سيدنا إبراهيم عليه السلام: (هذا ربي) من باب المناظرة والجدل والتنزّل، أو من باب سؤال المنكِر لهم، أعرّج على حجة سيدنا إبراهيم في حوار قومه، وكيف، شككهم بما يعبدون؟ وأن المعبود الذي يغيب ويتحرك ويتغيّر لا يصح ان يكون إلهاً أبداً.

يقول البيضاوي:» (فَلَمَّا أَفَلَ) أي: غاب. (قالَ لا أُحِبُّ الْآفِلِينَ) فضلاً عن عبادتهم فإن الانتقال والاحتجاب بالأستار يقتضي الإمكان والحدوث وينافي الألوهية.

(فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بازِغاً) مبتدئاً في الطلوع. (قالَ هذا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ) استعجز نفسه واستعان بربه في درك الحق، فإنه لا يهتدي إليه إلا بتوفيقه إرشاداً لقومه، وتنبيهاً لهم على أن القمر أيضاً لتغيّر حاله لا يصلح للألوهية، وأن من اتخذه إلهاً فهو ضال.[٣]

وفي هذا الاستدلال على أن الانتقال والتغيّر لا يليقان بالخالق وجاهة، واستنباط من نص الوحي الشريف مما لا يدركه كل أحد، وهذا يمكن أن يصلح دليلاً على صفة المخالفة للحوادث التي يثبتها علماؤنا ضمن الصفات السلبية، وأنه تعالى لا يوصف بالحركة والإنتقال، يقول الإيجي في المواقف: «ولا يقوم بذاته حادث ليس في حيز ولا جهة ولا يصح عليه الحركة والانتقال»[٤].

فالانتقال والافول والاحتجاب ينافي الربوبية التي تقتضي القيومية والرعاية، قال تعالى: (الله لا إله إلاّ هو الحيّ القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم) البقرة: ٢٥٥، فدل أن ذلك دليل الحدوث.

وفي جانب ثانٍ نجد الإمام البيضاوي كذلك يلفت النظر إلى ملمح دقيق ونكتة نفيسة في قول نبي الله ابراهيم عليه السلام عن الشمس: هذا ربي، فيقول البيضاوي:» (فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بازِغَةً قالَ هذا رَبِّي) ذكر اسم

---

(١) تفسير الطبري: ٤٨٥/١١.

(٢) الإنتصار للقرآن، لمحمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي (المتوفى: ٤٠٣هـ)، تحقيق: د. محمد عصام القضاة، دار الفتح - عَمَّان، دار ابن حزم - بيروت، ط/١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، ٥٩٥/٢

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي: ١٦٩/٢.

(٤) كتاب المواقف لعضد الدين عبدالرحمن بن أحمد الإيجي، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ط/١، ١٩٩٧، ٧١٧/٣.

الإشارة لتذكير الخبر وصيانة للرب عن شبهة التأنيث» [١]، وهذا ملمح دقيق في عظيم الأدب مع الرب والمولى سبحانه وتعالى، فلم يقل: هذه ربي، بل قال: «هذا ربي، هذا أكبر..»، ولم يقل: هذه أكبر.

وحاشا لإبراهيم عليه السلام أن يكون متشككا والله تعالى قد اخبر عنه بقوله :(إذ جاء ربه بقلب سليم، قال الإمام الماتريدي: سليم من الشرك فلم يشبه بشيء [٢]

وفي قول سيدنا إبراهيم عليه السلام «هذا ربي» حكاية لشبهتهم أو تنزلاً منه في جدالهم كي يستميلهم الى قبول الحق بالتدرج، فيكون قبولهم للحق أسهل وأيسر, فيقول الإمام النسفي: «والصحيح أن هذا قول من ينصف خصمه مع علمه أنه مبطل فيحكي قوله كما هو غير متعصب لمذهبه لأنه أدعى إلى الحق وأنجى من الشغب، ثم يكر عليه بعد حكايته فيبطله بالحجة (فَلَمَّآ أَفَلَ) غاب (قَالَ لا أُحِبُّ الافِلِينَ).»[٣]

وقوله: ينتصف لخصمه، فينصفه ويشعره أنه قد يكون له احتمال من الحق، ومثال ذلك قوله تعالى: «وإنّا أو إيّاكم لعلى هدى أو في ضلال مبين» سبأ- ٢٤.

وقد لجأ سيدنا إبراهيم عليه السلام إلى طريقة التدرج في إبطال اعتقادهم وليس كما فعل مع تحطيم الأصنام لعلمه بعدم جدوى تلك الطريقة، ولكونهم سيزدادون عناداً وكبراً.

يقول الآلوسي: «فلو صدع بالحق من أول الأمر كما فعله في حق عبادة الأصنام لتمادوا في المكابرة والعناد ولجّوا في طغيانهم يعمهون، وكان تقديم بطلان إلهية الأصنام على ما ذكر من باب الترقي من الخفي إلى الأخفى.» [٤].

فكان التدرج في إبطال ألوهية الكواكب أولاَ، ثم القمر، ثم الشمس، وفي كل مرّة ينفي حبه لأفولهم (لا أحب الآفلين) أي: لا أحب عبادة الآفلين، أو الذي لا يُحب لا يُعبد من باب أولى. [٥]

وهنا يبين ابن عاشور مقصد نبي الله إبراهيم : عليه السلام من كلامه مع قومه فيقول: «فدل ذَلك كله على أَن إِبراهيم عليه السلام قال ذلك على سبيل المجادلَة لقومه وإِرخاء العنان لهم ليصلوا إِلَى تلقي الْحجة ولَا يَنفروا من أَول وهلة فيكون قد جمع جمعا من قومه وأراد الِاستدلَال عليهم».

وقوله: هذا رِبِي أَي خالقي ومدبِري فهو مستحق عبادتي. قاله على سبيل الفرضِ جَرْيًا عَلَى مُعْتَقَدِ قَوْمِهِ لِيَصِلَ بِهِمْ إِلَى نَقْضِ اعْتِقَادِهِمْ فَأَظْهَرَ أَنَّهُ مُوَافِقٌ لَهُمْ لِيَهَشُّوا إِلَى ذلك ثم يكر عليهم بِالْإِبطال إظهارا للإنصاف

(١) تفسير أنوار التنزيل، البيضاوي: ١٦٩/٢.
(٢) ينظر تفسير الماتريدي المسمى: تأويلات أهل السنة والجماعة، ١٤٨/٤.
(٣) تفسير النسفي: ٢٠/٢.
(٤) تفسير الآلوسي روح المعاني: ١٨٩/٤.
(٥) المصدر فسه: ١٨٩/٤.

وَطَلَبِ الْحق. وَلَا يريبنك فِي هذا أَن صدور مَا ظَاهره كفر على لسانه عليه السلام لِأَنَّهُ لَمَّا رَأَى أَنَّهُ ذَلِكَ طَرِيقٌ إِلَى إِرْشَادِ قَوْمِهِ وَإِنْقَاذِهِمْ مِنَ الْكُفْرِ، وَاجْتَهَدَ فرآهُ أَرجى للْقبول عندهم ساغ له التَصْرِيح به لقَصد الوصول إِلَى الحق وهو لَا يعتقده، ولَا يزِيد قَوله هذا قومه كفرا، كَالّذي يُكره علَى أَن يقول كلمة الكفر وقلبه مطمئن بالْإِيمان فإنه إِذا جاز ذلك لحفظ نفس واحدة وإِنقَاذها من الهلَاك كان جوازه لإِنقَاذ فريق من الناس من الهلَاك في الدنيا والْاخرة أَولَى. وقد يكون فعل ذلك بإِذن من اللهَ تعالى بالوحيِ.»[1]

وكان مقصد نبي الله إبراهيم عليه السلام إبطال عقائدهم بالحجة العقلية وبما لا ينفرهم، فعمد إلى أسلوب التدرج أو الاستدراج الذي أشار إليه أبو حيان في قوله:» فيكون هذا القول منه استدراجاً لإظهار الحجة وتوسلاً إليها كما توسل إلى كسر الأصنام بقوله : (فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى النُّجُومِ فَقَالَ إِنّى سَقِيمٌ) فوافقهم ظاهراً على النظر في النجوم وأوهمهم أن قوله إني سقيم ناشئ عن نظره فيها .» [2]

فقد استدرج سيدنا إبراهيم عليه السلام قومه في حجته، فزعم لهم أولاَ أنه يشاركهم في عبادة تلك الأصنام والكواكب، فدعاهم إلى البحث عن إله لا يأفل ولا يغيب، حتى إذا أبطل في أنفسهم ربوبية الكوكب، انتقل إلى القمر، فلما أبطل في أنفسهم إمكان ربوبيته، انتقل إلى الشمس، فلما أبطل في أنفسهم إمكان كونها رباً صرّح لهم بعد ذلك بأن الذي يستحق العبادة وحده ولا يحول ولا يزول هو الله تعالى الذي خلق السماوات والأرض، وقد تدرّج سيدنا إبراهيم في نقض شركهم فبدأ بأقلها تقديساً وهي الكواكب، حتى وصل إلى الشمس، ثم الأصنام.

وما كان سيدنا إبراهيم ليهتدي إلى هذه الحجة العقلية إلّا بتوفيق من الله تعالى، فقال سبحانه: «وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه» الأنعام: ٨٣، يقول البيضاوي: «حُجَّتُنا آتَيْناها إِبْراهِيمَ أرشدناه إليها أو علمناه إياها.»[3].

قال الإمام الماتريدي: (قوله ﷻ: {وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ...} الآية: ينقض قول من يقول بأن إبراهيم كان غير مؤمن في ذلك الوقت و [لا] عارفاً بربه؛ لأنه أخبر أنه آتاه حجته على قومه، ولو كان هو على ما قالوا لكانت الحجة التي آتاه عليه، فلما أخبر أنه آتاه حجته على قومه، دل أنه ليس على ما قالوا،

---

(١) تفسير ابن عاشور المسمى تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر - تونس، ١٩٨٤م: ٧:٢٢٠-٢٢١.

(٢) تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، ط/١، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض، ١٧٢/٤.

(٣) تفسير البيضاوي: ١٧٠/٢.

ولكن كان عارفاً بربه مخلصاً له على ما سبق ذكره.)[١].

والذي يدل على هدايته أول الأمر قطعاَ دون تردد ولا شك قوله تعالى:(وحاجّه قومه قالَ أتحاجونّي في الله وقد هدان..) .

يقول الدكتور عبد الكريم زيدان : أي أتجادلوني في أمر الله وأنه لا إله إلاّ هو، وقد بصّرني وهداني إلى الحق؟![٢]

لقد وجدنا نبي الله إبراهيم عليه السلام يقيم الحجة على قومه متلطفاَ بهم، سالكا طريق الحكمة والتدرج وأسلوب الإقناع يبتغي رضا ربه وهداية قومه ونجاتهم في الدنيا والاخرة، فلم يصدمهم بشدة القول، ولم ينفرهم بالحكم عليهم بالكفر، وإنما طلب هدايتهم وابتغى انقاذهم من النار، فتدرّج في جدالهم ومحاججتهم حتى أوصلهم إلى النتيجة القطعية في أن خالق هذا الكون إله واحد قادر، لا يشبه الخلق قديم غير حادث، غني عن الحق غير محتاج إلى غيره، وكل ماسواه محتاج إليه، سبحانه وتعالى.

▪ المطلب الثالث: حجاج نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة الأنبياء.

قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ الأنبياء: ٥١ - ٦٧.

في هذه السورة المباركة يبيّن الحق جل وعلا بأنه آتى إبراهيمَ عليه السلام رشده ليتحمّل أعباء الدعوة والقيام بحق الربوبية على أتم وجه وقد أعدّه الله تعالى لهذه المهمة فقال تعالى: (وكنا به عالمين) عالمين باستعداده لحمل الأمانة، وقد بدأ حواره معهم بسؤالهم عن هذه التماثيل، وقد سمّاها تماثيل تقريراً منه بعدم اعترافه

(١) تأويلات أهل السنة والجماعة للماتريدي: ١٤٩/٤.

(٢) ينظر: المستفاد من قصص القران للدكتور عبدالكريم زيدان: ١٩٤/١،مؤسسة الرسالة ط/ الأولى: ٢٠٠٢،بيروت لبنان.

بألوهيتها، ثم كانت صيغة السؤال (بما) لغير العاقل (إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون قالوا : وجدنا آباءنا لها عابدين) فكان جوابهم تقليديا ليس فيه دليل ولا حجة، لذلك كان ردّه صارما قاطعاً: (لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين) فبين أن الباطل لا يصير حقا بسبب كثرة المتمسكين به.[١]

وبعد أن وجد سيدنا ابراهيم عليه السلام قومه منتكسي الفطرة أراد أن يردهم إلى صوابهم ويعيدهم إلى رشدهم ويحرك عقولهم بما سيصدمهم به من عمل كبير لعلّه يهز عقولهم ويستفز فكرهم وفطرتهم، فعمد إلى تهشيم الأصنام كلها إلاّ كبيرها، وهذا من الكيد بالحق الذي ذكره تعالى في قوله : (وتالله لأكيدن اصنامكم) وقد روي عن قتادة أنه قال: نرى أنه عليه السلام قال ذلك من حيث لا يسمعون[٢].

وأما الكيد فهو: (إرادة مضرة الغير خفية، وهو من الخلْق: الحيلة السيئة، ومن الله: التدبير بالحق لمجازاة أعمال الخلق)[٣]، ومن معاني الكيد الإحتيال في إيجاد ما يضر.[٤]

وكما هو معلوم بأن تصرفات الأنبياء عليهم السلام في التبليغ إنما هي توقيفية، فكيد نبي الله إبراهيم عليه السلام لم يكن كيد سوء ولا شر، وانما حيلة لغرض نصرة الدين ومكر بأعداء الله تعالى.

وهذا من باب الحجة واعمال العقل في إثبات بطلان عقيدة الأوثان وربوبيتها، فجاء الكيد على شكل حجاج عقلي بتحطيم الأصنام إلاّ كبيرهم، لعلهم يرجعون إليه عند سؤاله عن ذلك،

(قالوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ) قال القرطبي: فقال لهم إبراهيم على جهة الاحتجاج: (قال بل فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا) .. بيّن أن من لا يتكلم ولا يعلم لا يستحق أن يعبد.[٥]

وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ بَل فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَـٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾) الأنبياء ٦٣ - ٦٧.

قال ابن عطية: (المعنى: فظهر لهم ما قال إبراهيم من أن الأصنام التي قد أهّلوها للعبادة ينبغي أن تسأل وتستفسر، فقالوا إنكم الظالمون في توقيف هذا الرجل على هذا الفعل وأنتم معكم من تسألون ثم ارتكبوا في ضلالهم ورأوا بالفكرة وبديهة العقل أن الأصنام لا تنطق فسامهم ذلك حتى نطقوا عنه إلى

(١) ينظر : تفسير الرازي: ٣٠١/٢٣.
(٢) روح المعاني للآلوسي: ١٩٥/٢٣.
(٣) التعريفات للجرجاني ص: ٢٢٧.
(٤) ينظر تفسير روح البيان للآوسي: ١٩٥/٢٣.
(٥) الجامع لأحكام القرآن : ٣٠٠/١١.

موضع قيام الحجة عليهم..)[١]

فلما تنبهوا أنها لا تضر ولا تنفع قالوا لإبراهيم حين نكسوا في حيرتهم (لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) أي فما بالك تدعو إلى ذلك فوجد إبراهيم عليه السلام عند هذه المقالة موضع الحجة ووقفهم موبخا على عبادتهم تماثيل لا تنفع بذاتها ولا تضر.[٢]

وقد أجاد العلامة ان عاشور في بيان حجة نبي الله إبراهيم عليه السلام على قومه لإثبات عقيدة التوحيد، وأوهمهم بان كبير الأصنام لم يرض بعبادة غيره من الأصنام فحطّمها، فقال (:في تَجْوِيزِ أنْ يَكُونَ كَبِيرُهم هَذا الَّذِي حَطَّمَهم إخْطارُ دَلِيلِ انْتِفاءِ تَعَدُّدِ الآلِهَةِ لِأنَّهُ أوْهَمَهم أنَّ كَبِيرَهم غَضِبَ مِن مُشارَكَةِ تِلْكَ الأصْنامِ لَهُ في المَعْبُودِيَّةِ، وذَلِكَ تَدَرُّجٌ إلى دَلِيلِ الوَحْدانِيَّةِ، فَإبْراهِيمُ في إنْكارِهِ أنْ يَكُونَ هو الفاعِلَ أرادَ إلْزامَهُمُ الحُجَّةَ عَلى انْتِفاءِ أُلُوهِيَّةِ الصَّنَمِ العَظِيمِ، وانْتِفاءِ أُلُوهِيَّةِ الأصْنامِ المُحَطَّمَةِ بِطَرِيقِ الأوْلى عَلى نِيَّةِ أنْ يُقَرَّ عَلى ذَلِكَ كُلِّهِ بِالإبْطالِ ويُوقِنَهم بِأنَّهُ الَّذِي حَطَّمَ الأصْنامَ وأنَّها لَوْ كانَتْ آلِهَةً لَدَفَعَتْ عَنْ أنْفُسِها ولَوْ كانَ كَبِيرُهم كَبِيرَ الآلِهَةِ لَدَفَعَ عَنْ حاشِيَتِهِ وُحَرَفائِهِ، ولِذَلِكَ قالَ {فاسْألُوهم إنْ كانُوا يَنْطِقُونَ} تَهَكُّمًا بِهِمْ وتَعْرِيضًا بِأنَّ ما لا يَنْطِقُ ولا يُعْرِبُ عَنْ نَفْسِهِ غَيْرُ أهْلٍ لِلْإلَهِيَّةِ[٣]).

ثم قال رحمه الله: (والأخْبارَ إنَّما تَسْتَقِرُّ بِأواخِرِها وما يَعْقُبُها، كالكَلامِ المُعَقَّبِ بِشَرْطٍ أوِ اسْتِثْناءٍ، فَإنَّهُ لَمّا قَصَدَ تَنْبِيهَهم عَلى خَطَأِ عِبادَتِهِمْ لِلْأصْنامِ مَهَّدَ لِذَلِكَ كَلامًا هو جارٍ عَلى الفَرْضِ والتَّقْدِيرِ؛ فَكَأنَّهُ قالَ: لَوْ كانَ هَذا إلَهًا لَما رَضِيَ بِالِاعْتِداءِ عَلى شُرَكائِهِ، فَلَمّا حَصَلَ الِاعْتِداءُ عَلَيْهِمْ بِمَحْضَرِ كَبِيرِهِمْ تَعَيَّنَ أنْ يَكُونَ هو الفاعِلَ لِذَلِكَ، ثُمَّ ارْتَقى في الِاسْتِدْلالِ بِأنْ سَلَبَ الإلَهِيَّةَ عَنْ جَمِيعِهِمْ بِقَوْلِهِ {إنْ كانُوا يَنْطِقُونَ} كَما تَقَدَّمَ).[٤]

ومن خلال هذه المحاججة التي ألجأتهم الى الإعتراف بأن هذه التماثيل لا تنطق ولا تدفع عن نفسها الضر، وهنا: تأتي الحجة والدليل العقلي، بأن الذي لا ينطق ولا يضر ولا ينفع ولا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً: لا يصلح أن يكون إلهاً ولا خالقاً ولا معبوداً.

فبطل كونه إلهاً، وهكذا أقام سيدنا إبراهيم الدليل على بطلان عبادة الأوثان وافحم قومه بالحجة والبرهان، ثمّ ألجأهم إلى الإعتراف بعدم كون أصنامهم آلهةّ ولا يستحقون ذلك، بما أوتي من حجة وعقل راجح، وبلاغة وأسلوب آسر، وفكر ثاقب.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ...

---

(١) تفسير المحرر الوجيز، لابن عطية: ١٠٦/٤.

(٢) ينظر: المصدر نفسه : ١٠٦/٤.

(٣) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور: ١٠٩/١٨.

(٤) المصدر نفسه: ١٠٩:١٨

الخاتمة وأهم النتائج

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والآه..

فقد أشرف هذا البحث على نهايته، وأحمد الله تعالى على توفيقه وإفضاله، وأرجو الله أن يجعله نافعا، فما كان فيه من خير فمن الله تعالى وتوفيقه، وإن كان فيه غير ذلك فمن جهلي وتقصيري وذنبي، وأرجو أن يغفر الله لي ويتقبل مني .

وقد كان من لأهم نتائج هذا البحث ما يأتي:

١- إن القرآن الكريم عني بالدليل العقلي كما عني بالدليل النفلي، وجعله متضمنا فيه.

٢- جعل الله تعالى العقل مناط التكليف، وبه جعل معرفة الخالق سبحانه، وجعل العقل دليلاً عليه.

٣- لم يكن المعتزلة أول من أثبت العقائد الدينية بالأدلة العقلية، فقد سبقوا إلى ذلك منذ قرون طويلة.

٤- من أبزر صفات الأنبياء والرسل الفطانة، وذلك كي يقيموا الحجة على توحيد الله تعالى، وإثبات وجوده.

٥- وجدت أن نبي الله إبراهيم عليه السلام من أكثر من نقل القرآن الكريم مجادلته لقومه، وكيف دحض عقائدهم.

٦- تنوع أسلوب الحجاج وطريقته من قبل سيدنا إبراهيم بحسب تنوع المشككين، فتارة يجادل مدعي الألوهية، وتارة يجادل أهل الأوثان، وتارة يجادل والده وقومه..

٧- وجدت أن آيات القرآن الكريم قد اشتملت على كثير من القواعد التي أثبتها أهل الكلام في كتبهم، ومن ذلك: ولا يصح عليه الحركة والانتقال، قد استنتجت من قول نبي الله إبراهيم:(لا أحب الآفلين) فإن الإله لا يصلح أن يكون متحركا متغيرا.

وأخيراً .. إن سيدنا إبراهيم عليه السلام أبا الأنبياء وفي قصصه عبرة وأمر بالاقتداء به، وأدعو كل الباحثين في قضايا العقائد أن يتصدوا لمشكلات الواقع ويجدوا لها الحلول، وأن يجعلوا من أسلوب القران الكريم منهجا ومتبعاً.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ...

* * *

المصادر والمراجع

- الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

- الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (ت ٦٣١هـ) تعليق عبد الرزاق عفيفي، ط/٢، المكتب الإسلامي، بيروت (١٤٠٢هـ) ١٦٧/٣.

- آداب البحث والمناظرة، تأليف العلامة محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (ت:١٣٩٣هـ) تحقيق سعود بن عبدالعزيز العريفي، إشراف بكر بن عبدالله أبو زيد، من مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي، دار عالم الفوائد، للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط/١، ١٤٢٦هـ.

- استخراج الجدال من القرآن الكريم، تصنيف الإمام ناصح الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن نجم بن عبدالوهاب الأنصاري المعروف بابن الحنبلي (٦٣٤هـ) ضبط نصه وخرج أحاديثه وعلق عليه : محمد صبحي حسن حلاق، ط/١، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م، مؤسسة الريان- بيروت- لبنان.

- أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، للشيخ عبدالرحمن النحلاوي، ط/٢، دار الفكر- سوريا، ٢٠٠٥م.

- الإنتصار للقرآن، لمحمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي (المتوفى: ٤٠٣هـ) ،تحقيق: د. محمد عصام القضاة، دار الفتح- عَمَّان، دار ابن حزم- بيروت، ط/ ١، ١٤٢٢ هـ- ٢٠٠١م.

- أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) قاضي القضاة ناصر الدين البيضاوي ت٦٨٥هـ تحقيق محمد محي الدين الاصفر , دار المعرفة لبنان.

- إيجاز البيان عن معاني القرآن، و لمحمود بن أبى الحسن بن الحسين النيسابوري أبو القاسم، نجم الدين (المتوفى: نحو ٥٥٠هـ)، تحقيق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، ط/١: دار الغرب الإسلامي- بيروت- ١٤١٥ هـ.

- البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دار الكتب العلمية- لبنان/ بيروت- ١٤٢٢ هـ- ٢٠٠١م.

- تاج العروس من جواهر القاموس، تأليف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، طبع دار الهداية للنشر.

- تأويلات أهل السنة (تفسير الماتريدي) أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي ت٣٣٣هـ تحقيق مجدي باسلوم , دار الكتب العلمية- بيروت , ط١/٢٠٠١م

- التعريفات لعلي بن محمد بن علي الجرجاني ت٨١٦هـ، تحقيق : إبراهيم الأبياري، ط/١: دار الكتاب العربي- بيروت، ١٤٠٥هـ

- تفسير ابن عاشور المسمى تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر- تونس، ١٩٨٤م.

- تفسير البحر المديد للإمام أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس، ط/٢ / دار الكتب العلمية بيروت، ٢٠٠٢ م ١٤٢٣هـ

- تفسير بحر العلوم، لأبي الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، المتوفى (٣٧٣هـ)، تحقيق: د. محمود مطرجي، ط/ دار الفكر -بيروت.

- تهذيب اللغة، تأليف: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، دار إحياء التراث العربي- بيروت- ٢٠٠١م،

- التوقيف على مهمات التعاريف تأليف: محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق : د. محمد رضوان الداية، الناشر : دار الفكر المعاصر , دار الفكر- بيروت , دمشق، ط/١، ١٤١٠هـ.

- الجامع لأحكام القران، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط/٢، دار الكتب المصرية- القاهرة، ١٩٦٤م.

- الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، تأليف: زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري أبو يحيى، تحقيق : د. مازن المبارك، ط/١: دار الفكر المعاصر- بيروت، ١٤١١هـ.

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني, شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، لأبي الثناء شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط/ ١، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.

- شرح السنوسية المسماة أم البراهين للعلامة أحمد بن عيسى الأنصاري، تهذيب الدكتور سعيد فودة، ط/٢، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، دار الرازي، عمان، الأردن.

- الصحاح؛ تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف: إسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٣هـ)، ط/٤: دار العلم للملايين- بيروت.١٩٩٠م.

- القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، المطبعة الأميرية ببولاق-

مصر، ط/١٣٠١،٣هـ

- الكافية في الجدل لإمام الحرمين الجويني، تقديم وتحقيق وتعليق: د. فوقية حسين محمود، مطبعة عيسى البابي الحلبي سنة: ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي- بيروت، ط/٣- ١٤٠٧ هـ.

- لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين ابن منظور، قدم له عبدالله العلايلي، ط/٢، ١٩٨٨م/١٤٠٧هـ، دار الجيل، بيروت لبنان.

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية , عبد الحق غالب بن عطية الأندلسي ت تحقيق عبد السلام عبد الشافي , دار الكتب العلمية- بيروت , ط١/ ٢٠٠٦م.

- مختار الصحاح تأليف الإمام محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي ت٦٠٦هـ، تحقيق : محمود خاطر، ط/١ مكتبة لبنان ناشرون- بيروت، ١٤١٥ -، ١٩٩٥،

- مدارك التنزيل وحقائق التأويل , أبو البركات عبد الله بن محمود حافظ الدين النسفي ت٧١٠هـ تحقيق يوسف علي بديوي , دار الكلم الطيب- بيروت , ط١/١٩٩٨م.

- المستفاد من قصص القران للدكتور عبدالكريم زيدان , مؤسسة الرسالة ط/ الأولى:٢٠٠٢،بيروت لبنان.

- معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، للإمام أبي الفضل عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ط/١: مكتبة الآداب- القاهرة / مصر- ١٤٢٤ هـ- ٢٠٠٤ م، تحقيق : أ.د محمد إبراهيم عبادة.

- معجم مقاييس اللغة، تأليف أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ت٣٩٥هـ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، طبع: دار الفكر، ط/١: ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

- مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط/ ٣- ١٤٢٠ هـ.

- المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم بن محمد بن الفضل الأصفهاني(ت٤٢٥هـ) أعده، د. محمد أحمد خلف الله، المطبعة الفنية الحديثة، مصر، ١٩٧٠م.

- المواقف لعضد الدين عبدالرحمن بن أحمد الإيجي، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ط/١، ١٩٩٧.

- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض،

الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط/ ١، ١٤١٥ هـ- ١٩٩٤م.

* * *